حجة الشاطبية من المعلقات السبع العلية
معلقة امرئ القيس أنموذجا

الدكتور عبد الرحيم بن عبد الرحمن إبراهيم إيدي

الأستاذ المشارك بقسم القراءات بكلية الدعوة وأصول الدين

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن للمعلقات السبع مكانة عليا بين كلام فصحاء العرب، حتى إنها لتفوق كلام أصحابها أنفسهم في غيرها، ولذا جُعِلت مرجعا للاستشهاد على صحة الكلام والاستعمال وفصاحته، ولما حوته منظومة حرز الأماني وجه التهاني من حسن الموافقة لفصحاء العرب أردت بيان هذه الموافقة، من معلقة امرؤ القيس خصوصًا، نظرًا لتقدمها على سائر المعلقات، وإبرازًا لمكانة منظومة حرز الأماني وصاحبها بين سائر المنظومات العلمية.

وقد جعلت البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين على النحو الآتي: التمهيد وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الاحتجاج بالمعلقات على فصاحة الكلام وصحة الاستعمال.

المطلب الثاني: إمامة الشاطبي العربية وعلومها.

المبحث الأول: حجة الشاطبية من معلقة امرئ القيس في استعمال المفردات.

المبحث الثاني: حجة الشاطبية من معلقة امرئ القيس في استعمال التراكيب.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

إن الاحتجاج لصحة الكلام والاستعمال بشعر العرب أمر معهود لدى علماء الإسلام وشراح المنظومات، وهو أيضا مستفيض في تفاسير القرآن الكريم، وقبل البدء عن موضوع البحث يلزم تصديره بهذين المطلبين؛ تقريبا للمراد.

المطلب الأول: الاحتجاج بالمعلقات على فصاحة الكلام وصحة الاستعمال.

جرت عادة أهل العلم والمصنفين من أهل العربية وغيرهم على الاستشهاد بشعر أصحاب المعلقات، وجعلوا ذلك حجة للاستدلال على صحة الكلام أو الاستعمال

واستقامته، سواء في الاستعمال اللغوي أو النحوي، وشاهدًا على معنى الغريب من الكلام، وهذه عادة قديمة، بدأت من زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقد كانوا يستشهدون بالشعر العربي في معرض بيان كلام الله تعالى، وكان استشهادهم بالشعر العربي عموما، وبشعر أصحاب المعلقات خصوصا.

ولقد ظهر ذلك جليًّا في مسائل ابن الأزرق، التي سأل فيها ابن الأزرق الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قرابة مئتي مسألة في معاني القرآن الكريم، بقوله: "أخبرني عن قول الله تعالى"، فإذا أجابه ابن عباس رضي الله عنه قال: "وهل تعرب العرب ذلك"، وكان ابن عباس رضي الله عنه يجيبه بعد كل مسألة بشاهد من شعر فصحاء العرب وبلغائهم، من شعر أصحاب المعلقات وغيرهم.

وقد استشهد ابن عباس رضي الله عنه بشعر امرئ القيس ولبيد بن ربيعة وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى، وطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة، وهم أصحاب المعلقات السبع، وأرباب الفصاحة[1].

وكذا احتج ابن عباس رضي الله عنه بشعر غيرهم من بلغاء العرب، كشعر حسان بن ثابت رضي الله عنه، وأمية بن أبي الصلت، وعبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وعبد الله بن رواحه رضي الله عنه، والحطيئة العبسي وغيرهم[2].

ولذلك صار ذلك الاحتجاج بشعر العرب عموما والمعلقات خصوصًا منهجًا لدى علماء التفسير، كما عند الطبري[3]، والقرطبي[4] ومن بعدهما، كابن كثير[1] والزمخشري[2]، وكذلك الحال في كتب معاني القرآن، ككتاب الفراء والزجاج[3].

([1]) ينظر الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ص: 377، 479

([2]) ينظر المرجع السابق ص: 392، 547

([3]) ينظر تفسير الطبري 12/ 192، 16/ 526

([4]) ينظر تفسير القرطبي 9/ 341، 13/ 65

والاحتجاج بشعر العرب منهج مناهج أهل العربية، في بيان فصاحة الكلام وبلاغته أو بيان صحة الاستعمال أيضًا، فقد احتج سيبويه[4] والخليل[5] –وهما أئمة العربية–ومن بعدهم بشعر العرب وكلامها.

ومما احتج له شراح الشاطبية شعر العرب الجاهلي والإسلامي، فقد احتج الإمام السخاوي أول شارح للشاطبية بشعر أصحاب المعلقات، ومن أمثلة احتجاجه للشاطبية أن احتج بشعر عنترة، على استعمال الشاطبي كلمة: (شمردلا) ، وكلمة: (مطولا) [6].

واحتج أبو شامة في شرحه إبراز المعاني بشعر لبيد بن ربيعة، لجمع الشاطبي بين لغتي الصلة والإسكان لميم الجمع، في قوله:

عليهم إليهم حمزة ولديهمو[7]

واحتج أبو شامة أيضا بشعر النابغة لقول الشاطبي: (أجذم العلا) [8].

وبهذا نعلم أن هذا الاحتجاج بشعر العرب منهج قديم صحيح، على بيان صحة الكلام وقوته، وصحة الاستعمال.

المطلب الثاني: إمامة الشاطبي في العربية وعلومها.

([1]) ينظر تفسير ابن كثير 1/ 163

([2]) ينظر تفسير الكشاف 1/ 80

([3]) ينظر معاني القرآن للزجاج 2/ 399

([4]) ينظر الكتاب لسيبويه 2/ 252

([5]) ينظر كتاب العين 2/ 152

([6]) ينظر فتح الوصيد ص: 735، 736، 517، 537

([7]) ينظر إبراز المعاني ص: 72

([8]) ينظر المرجع السابق ص: 12

كان أبو القاسم الشاطبي إماما مبرزا في القراءات وعلومها، وهذا بيّن وواضح في منظوماته الشهيرة التي سارت بها الركبان، وهي حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، وعقيلة أتراب القصائد في رسم المصحف، وناظمة الزهر في علم الفواصل.

إلى جانب ذلك كان إمام في العربية وعلومها، قال عنه الذهبي: "وكان إماما علامة، ذكيا كثير الفنون منقطع القرين، رأسا في القراءات، حافظا للحديث، بصيرا بالعربية، واسع العلم"[1].

وقال عنه ابن السلار: "سيد العلماء، وإمام النحاة والقراء"[2].

وقال الإمام ابن الجزري في ترجمته: " وكان إماما كبيرا أعجوبة في الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظا للحديث بصيرا بالعربية إماما في اللغة رأسا في الأدب"[3].

وقال ابن الجزري عن قصيدة الشاطبية: "ومن وقف على قصيدتيه علم مقدار ما آتاه الله في ذلك خصوصا اللامية التي عجز البلغاء من بعده عن معارضتها"[4].

فالشاطبي إمام في العربية بلا نزاع، يعرف ذلك ويقر به القراء والبلغاء، ومن عنايته بالعربية أنه أخذ كتاب سيبويه والكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وغيرها من كنت العربية على أبي عبد الله محمد بن حميد.

ومن قرأ منظومته الشاطبية ممن يعرف العربية عرف قدرها ومكانتها، وعرف فضل ناظمها وتمكنه في علوم العربية، رحمه الله.

([1]) معرفة القراء الكبار ص: 312

([2]) طبقات القراء لابن السلار ص: 177

([3]) غاية النهاية 2/ 21

([4]) غاية النهاية 2/ 22

ولقد ظهرت مهارته في النظم مع تمكنه في العربية في هذه المنظومة، ومن ذلك موافقته لفصحاء العرب وبلغائهم، ولذا كتب هذا البحث في الاحتجاج له من كلام أشعر العرب وأفصحهم، ألا وهو امرؤ القيس في معلقته الشهيرة.

المبحث الأول: حجة الشاطبية معلقة امرئ القيس في استعمال المفردات.

الحجة الأولى: لقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

3 – وَعِتْرَتِهِ ثُمَ الصَّحَابَةِ ثُمّ مَنْ ..... تَلاَهُمْ عَلَى ٱلإِحْسَانِ بِالخَيْرِ **وُبَّلَا**

وقول الشاطبي: **(وُبَّلَا)** وهو جمع وابل أي المطر، وقد استعمل امرؤ القيس هذا الكلمة في هذا المعنى حيث قال في معلقته:

83 – كأنّ ثَبيرًا في عَرانينِ **وَبْلِهِ** ..... كَبيرُ أُناسٍ في بجاد مُزَمَّلِ

الحجة الثانية: لقول الإمام الشاطبي:

22 – لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اُسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ ..... سَوَادَ الدُّجَى حَتَّى تَفَرَّق **وَانْجَلَا**

وقول الشاطبي: **(وَانْجَلَا)** أي انكشف، وقد استعمل الشاطبي هذه المادة في مواضع كثيرة بعدة تصاريف، منها قوله:

504 – وَلاَ تَقْتُلُوهُمْ بَعْدَهُ يَقْتُلُوكُمُو ..... فَإِنْ قَتَلُوكُمْ قَصْرُهاَ شَاعَ **وَانْجَلَا**

632 – وَصُحْبَةُ يُصْرَفْ فَتْحُ ضَمٍّ وَرَاؤُهُ ..... بِكَسْرٍ وَذَكِّرْ لَمْ يَكُنْ شَاعَ **وَانْجَلَا**

وكذا استعملها في حرز الأماني، في عدد من المواضع منها:

569 – وَحَقُّ نَصِيرٍ كَسْرُ وَاوِ مُسَوِّمِيـ ..... ـنَ قُلْ سَارِعُوا لاَ وَاوَ قَبْلُ كَماَ **انْجَلَى**

574 – وَمِتُّمْ وَمِتْناَ مُتَّ فِي ضَمِّ كَسْرِهاَ ..... صَفَا نَفَرٌ وِرْداً وَحَفْصٌ هُناَ **اجْتَلَا**

700 – وَخَاطَبَ يَرْحَمْنَا وَيَغْفِرْ لَنَا شَذاً ..... وَبَا رَبَّنَا رَفْعٌ لِغَيْرِهِمَا **انْجَلَا**

1090 – وَوَالرِّجْزَ ضَمَّ الْكَسْرَ حَفْصٌ إِذَا قُلِ إِذْ .. وَأَدْبَرَ فَاهْمِزْهُ وَسَكِّنْ عَنِ **اجْتِلَا**

1143 – وَحَرْفٌ يُدَانِيهِ إِلَى الظَّهْرِ مَدْخَلٌ ..... وَكَمْ حَاذِقٍ مَعْ سِيبَوَيْهِ بِهِ **اجْتَلَا**

1145 – وَمِنْهُ وَمِنْ عُلْيَا الثَّنَايَا ثَلاَثَةٌ ..... وَمِنْهُ وَمِنْ أَطْرَافِهاَ مِثْلُهاَ **انْجَلَى**

وقد استعمل امرؤ القيس هذه المادة في هذا المعنى في موضعين من معلقته حيث قال:

27- فَقَالتْ: يَمِيْنَ اللهِ، مَا لَكَ حِيْلَةٌ..... وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الغَوَايَةَ **تَنْجَلِي**

وقال:

50 - ألا أيّها اللّيلُ الطويلُ ألا **انْجَلِي** ... بصُبْحٍ، وما الإِصْبَاحُ مِنكَ بأمثَلِ

الحجة الثالثة والرابعة: لقول الشاطبي:

34 - وَبِالْكُوفَةِ الْغَرَّاءِ مِنْهُمْ ثَلاَثَةٌ ..... أَذَاعُوا فَقَدْ **ضَاعَتْ** شَذاً **وَقَرَنْفُلَا**

وفي البيت حرفان يحتج لهما بشعر امرئ القيس: الأول قوله: (**ضَاعَتْ**) والثاني: قوله: (**وَقَرَنْفُلَا**).

أما قوله: (ضاعت) فهو بمعنى فاحت وانتشرت، وجاء استعماله في الشاطبية أيضا في موضع آخر، وهو قول الشاطبي:

302 - وَفِيهَا وَفِي طَاسِيْنَ آتَانِيَ الَّذِي ..... أَذَعْتُ بِهِ حَتَّى **تَضَوَّعَ** مَنْدَلَا

وأما قوله: (وقرنفلا) القرنفل هو نبات ذو رائحة طيبة، وأصله من بلاد الهند، وأورده الإمام الشاطبي في موضع آخر من منظومته حيث قال:

1173 - وَتُبْدِي عَلَى أَصْحَابِهِ نَفَحَاتِهَا ..... بِغَيْرِ تَنَاهٍ زَرْنَبًا **وَقَرَنْفُلَا**

وقد ذكر القرنفل امرؤ القيس في معلقته، حيث قال:

8 - إذا قامَتا **تَضَوّعَ** الْمِسْكُ مِنْهُمَا ..... نسيمَ الصَّبا جاءت برَيّا **القَرَنْفُلِ**[1]

الحجة الخامسة: لقول الإمام الشاطبي:

65 - وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ ..... بِهِ مُوضِحاً **جِيْداً مُعَمًّا وَمُخْوَلَا**

(1) ينظر شرح المعلقات السبع للزوزني ص: 39

وفي هذا البيت ثلاث كلمات يحتج لها معلقة امرئ القيس، الأولى: قوله: (جيدا)، الثانية: (معما)، الثالثة: (مخولا).

والجيد هو العنق، كما قال الله تعالى: (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ) [المسد: 5]، وقد قال فيها امرؤ القيس في معلقته:

وَجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ ليسَ بفاحشٍ ..... إذا هي نَصّتْهُ وَلا بِمُعَطَّلِ

الحجة السادسة: لقول الإمام الشاطبي:

90 – وَقَدْ قِيلَ كُنْ كَالْكَلْبِ يُقْصِيهِ .... أَهْلُهُ وَمَا **يَأْتَلِي** فِي نُصْحِهِمْ مُتَبَذِّلَا

وقول الشاطبي: (وما يأتلي) أي ما يقصر، والائتلاء هو التقصير والتأخير والتخلف[1]، وقال امرؤ القيس في معلقته:

47 – ألا رُبّ خَصْمٍ فيكِ ألْوَى رَدَدتُه ..... نصيحٍ على تَعذالِهِ غيرِ **مُؤتَلِ**

الحجة السابعة: لقول الإمام الشاطبي:

117 – فَفِي كِلْمَةٍ عَنْهُ مَنَاسِككُمْ وَمَا .. سَلَككُمْ وَبَاقِي الْبَابِ لَيْسَ **مُعَوَّلَا**

وقول الشاطبي: (**مُعَوَّلَا**) المعول المعتمد عليه، وجاء استعماله هذا اللفظ في الشاطبي في موضع آخر وهو قول الشاطبي رحمه الله:

714 – وَفِي مُرْدِفِينَ الدَّالَ يَفْتَحُ نَافِعٌ ..... وَعَنْ قُنْبُلٍ يُرْوَى وَلَيْسَ **مُعَوَّلَا**

وفيه قال امرؤ القيس في معلقته:

6 –وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهَرَاقَةٌ ..... فهلْ عندَ رَسمٍ دارِسٍ مِنْ **مُعَوَّلِ**

ومن حسن الاتفاق في استعمال كلمة (معول) أنه جاء في الشاطبية ومعلقة امرئ القيس في سياق النفي، لأن قول امرئ القيس: (فهلْ عندَ رَسمٍ دارِسٍ مِنْ **مُعَوَّلِ**) استفهام يراد به الإنكار والنفي.

([1]) ينظر معجم مقاييس اللغة 1/ 47

الحجة الثامنة: لقول الإمام الشاطبي:

155 – وَأَشْمِمْ وَرُمْ فِي غَيْرِ بَاءٍ وَمِيمِهَا ..... مَعَ الْبَاءِ أَوْ مِيمٍ وَكُنْ **مُتَأَمِّلاَ**

فقوله: (وَكُنْ **مُتَأَمِّلاَ**) أي كن ناظرا بفكرك، فالتأمل هو النظر، ويكون بالعين وبالفكر، وفي نحوه قال امرؤ القيس في معلقته:

78 – قَعَدْتُ لَهُ وَصُحْبَتِي بينَ ضارِجٍ ..... وَبَيْنَ العُذَيبِ بَعْدَ مَا **مُتَأَمِّلي**

الحجة التاسعة: لقول الإمام الشاطبي:

264 – وأدغم مرو **واكف** ضير ذابل ..... زوى ظله وغر تسداه **كلكلا**

وفي البيت حرفان يحتج لهما بشعر امرؤ القيس، الأول: قوله: (واكف) وهو من قولهم: وكف المطر إذا نزلت قطراته، والثاني: قوله: (كلكلا) وهو الصدر في كلام العرب، واستعمل الشاطبي في موضع آخر حيث قال في الشاطبي:

873 – وَأَنَّا وَشَامٍ قَطْعُ أَشْدُدْ وَضُمَّ فِي ابْ ... تِدَا غَيْرِهِ واضْمُمْ وَأَشْرِكْهُ **كَلْكَلَا**

أما الأول فقد فحجته في معلقة امرئ القيس حين قال:

41– باتَت وَأَسبَلَ **واكِفٌ** مِن دِيمَةٍ ..... يُروي الخَمائِلَ دائِمًا تَسجامُها

وأما الثاني فقد قال فيه امرؤ القيس في معلقته:

45– فَقُلْتُ لَه لَمّا تَمَطَّي بصُلْبِهِ ..... وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَنَاءَ **بَكَلْكَلِ**

الحجة العاشرة: لقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

274 – وَلاَ خُلفَ فِي الإِدْغَامِ إِذْ ذَلَّ ظَالِمٌ ..... وَقَدْ تيَّمَتْ دَعْدٌ وَسِيماً **تَبَتَّلَا**

وفيه قول الشاطبي (**تَبَتَّلَا**) والتبتل هو الانقطاع إلى العبادة، كما قال الله تعال: (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) [المزمل: 8]، قال القرطبي في تفسيره: "التَّبَتُّلُ: الِانْقِطَاعُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَيِ انْقَطِعْ بِعِبَادَتِكَ إِلَيْهِ، وَلَا تُشْرِكْ بِهِ غَيْرَهُ"[1].

([1]) تفسير القرطبي 19/ 44، وينظر لسان العرب 11/ 42 مادة: (بتل).

وقال فيه امرؤ القيس في معلقته:

44 – تُضيءُ الظَّلامَ بالعِشاءِ كأنَّها ..... مَنَارَةُ مُمْسَى راهبٍ **مُتَبَتِّلِ**

الحجة الحادية عشرة: لقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

1002 – وَفي يُوعَدُونَ دمُ حُلاً وَبِقَافَ دُمْ .. وَثَقَّلْ غَسَّاقاً **مَعاً** شَائِدٌ عُلَا

حيث استعمل الشاطبي كلمة (معاً) للاثنين، وهو مستعمل في اللغة للاثنين فما فوقها كما ذكر أبو شامة، بقوله: "وهو في اللغة يستعمل للاثنين فما فوقها"[1]، وأورد له شواهد من كلام العرب في شرحه إبراز المعاني، ومنها قول متمم بن نويرة:

فلما تغربْنَا كأنّي ومالِكا ... لِطُولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً **معًا**

وقول مطيع بن إياس:

كنت ويحيى كيدَيْ واحد ..... نرمي جميعا ونرامي **معا**

وجاء هذا الاستعمال في الشاطبي في عدة مواضع منها قوله:

511– **مَعًا** قَدْرُ حَرِّكْ مِنْ صَحَابٍ وَحَيْثُ جَا .. يُضَمُّ تَمَسُّوهُنَّ وَامْدُدْهُ شُلْشُلا

وقوله:

886– وذكري **مَعًا** إِنِّي **مَعًا** لِي مَعًا حَشَرْ .. تَنِي عَيْنِ نَفْسِي إِنَّنِي رَاسِيَ انْجَلا

وقوله:

779– **معًا** وَصْلُ حَاشَا حَجَّ دَأْبًا لِحَفْصِهِمْ .. فَحَرِّكْ وَخَاطِبْ يَعْصِرُنَ شَمَرْدَلا

وقد صار هذا الاستعمال من المصطلحات المشهورة لدى علماء القراءات وعلومها، ومن ذلك قول الإمام ابن الجزري في طيبة النشر:

803 – مُنْزَلاً افْتَحْ ضَمَّهُ واكْسِرْ صَبَنْ .. هَيْهَاتَ كَسْرُ التَّا **مَعًا** ثُبْ نَوِّنَنْ

وقال في الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية:

([1]) ينظر إبراز المعاني ص: 150

93 – يَغُرَّنْكَ يَحْطِمْ نَذْهَبَ اوْ نُرِيَنْكَ يَسْ .. –تَخِفَّنْ وَشَدِّدْ لَكِنِ الَّذْ **مَعَاً** أَلَا

وقال الشيخ عبد الفتاح القاضي في الفرائد الحسان في عد آي القرآن:

116– أنعَامكَم **معًا** لشامٍ بصرِي ... دع والحجازي مَن طغَى لا يَجْرِي

وقد استعمله امرؤ القيس للاثنين حيث قال في معلقته:

14 – تقولُ، وقد مال الغَبيطُ بنا **معًا** ... عَقَرْتَ بَعِيري يا امرَأَ القَيس، فانزِلِ

حيث أراد امرؤ القيس بقوله (معا) نفسَه ومعشوقته وهما اثنان.

الحجة الثانية عشرة: لقو الشاطبي رحمه الله:

وَنَحْشُرُ يَاءٌ ضُمَّ مَعْ فَتْحِ ضَمِّهِ ..... وَأَعْدَاءُ حُذْ وَالْجَمْعُ عَمَّ **عَقَنْقَلا**

فقوله (عقنقلا) بمعنى الكثيب من الرمل، وهذا البيت له حجة في معلقة امرئ القيس، وقد ذكرها الإمام أبو شامة عند شرحه لهذا البيت[1]، وهي قول امرئ القيس:

29 – فلمّا أجزْنا ساحَةَ الحيّ وانْتَحَى ... بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقَافٍ **عقَنقَلِ**

المبحث الثاني: حجة الشاطبية من معلقة امرئ القيس في استعمال التراكيب.

والمراد باستعمال التراكيب ما كان من الموافقات بين الشاطبية ومعلقة امرئ القيس الناتجة عن استعمال التراكيب، وتتفرع إلى قسمين: الأول راجع إلى علم العروض، والثاني راجع إلى استعمال الكلمات في معانيه المقررة في العربية.

وسأذكرها هنا مع تسلسل تعداد الحجج التي ذكرتها في المبحث الأول، بادئا بالحجج المتعلقة بعلم عروض الشعر.

([1]) ينظر إبراز المعاني ص: 674

الحجة الثالثة عشرة: لاستعمال الإمام الشاطبي رحمه الله بحر الطويل في قصيدته، فهو ذات البحر الذي استعمله امرؤ القيس في معلقته كما مر في الحجج السابقة، وتفعيلاته هي:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ..... مفعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن[1]

وعليه مشى الشاطبي رحمه الله أيضا في منظومة ناظمة الزهر في عد الآي حيث قال في أولها:

1-بدأت بحمدِ اللهِ ناظمةَ الزهرِ ..... لتجني بعونِ اللهِ عَينًا من الزهرِ

الحجة الرابعة عشرة: لقول الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى:

6- وَأَخْلِقْ بِهِ إِذْ لَيْسَ يَخْلُقُ **جِدَّةً** ..... جَدِيداً مُوَاليهِ عَلَى الْجِدِّ مُقْبِلَا

حيث جعل الإمام الشاطبي الوقف في الشطر الأول من البيت بنون التنوين التي الأصل حذفها حال الوقف، وهذا الاستعمال شائع في الشعر وسائغ، وجاء استعماله في معلقة امرئ القيس في عدد من المواضع، ومنها قوله:

9 - ففاضَتْ دُموعُ العَينِ مِنّي **صَبَابَةً** .... عَلَى النَّحرِ حتّى بلّ دمعيَ مِحْمَلي

وقوله:

21- وَإِنْ تَكُ قَدْ ساءَتكِ مني **خَليقةٌ** ... فَسُلّي ثيابي من ثيابِكِ تَنْسُلِ

وقوله:

31- مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءَ غيرُ **مُفاضةٍ**..... ترائبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ

الحجة الخامسة عشرة: لقول الشاطبي رحمه الله:

125 - وَيَا قَوْمِ مَالِي ثُمَّ يَا قَوْمِ مَنْ **بِلَا** ..خِلاَفٍ عَلَى الْإِدْغَامِ لاَ شَكَّ **أُرْسِلَا**

[1] ينظر كتاب العروض لابن جني ص: 4

حيث وحد بين عجز الشطر الأول مع القافية، وهو خلاف المستعمل الشائع في الشعر من قصر هذا الاتفاق على البيت الأول من القصيدة، وقد كرر الشاطبي رحمه هذا الاستعمال في عدة مواضع من الشاطبية، منها قوله في باب المد والقصر:

172 – وَوَسَّطَهُ قَوْمٌ كَآمَنَ **هَؤُلَا** ..... ءِآلِهَةً آتى لِلِايْمَانِ **مُثِّلَا**

ومنها قوله في فرش حروف سورة البقرة:

487 – وَفِي أَمْ يَقُولُونَ الْخِطَابُ كَمَا **عَلَا**..... شَفَا وَرَءُوفٌ قَصْرُ صُحْبَتِهِ **حَلَا**

وقد فعل ذلك امرؤ القيس في معلقته في أكثر من بيت، حيث قال في البيت الحادي والعشرين والذي بعده:

21 – أفاطِمَ مهلًا بعضَ هذا **التَّدَلّلِ** ...وَإن كنتِ قد أزمعتِ صَرْمي **فأجملي**

22 – أغَرّكِ مني أنّ حبّكِ **قاتِلي** ..... وَأنّكِ مهما تأمري القلبَ **يَفْعَلِ**

الحجة السادسة عشرة: لقول الشاطبي رحمه الله:

65 – وَسَوْفَ أُسَمِّي حَيْثُ يَسْمَحُ نَظْمُهُ ..... بِهِ مُوضِحاً جِيْداً **مُعَمًّا وَمُخْوَلَا**

حيث استعل الشاطبي رحمه الله كلمتين في موضع واحد وهما قوله: (معما ومخولا)، والمعم هو كريم الأعمام كثيرهم، والمخول هو كريم الأخوال كثيرهم[1].

وقد استعملها من قبله امرؤ القيس في معلقته بهذا الاقتران حيث قال:

68 – فأدْبَرْنَ كالْجِزْعِ الْمُفَصَّلِ بَيْنَهُ ..... بِجِيدٍ **مُعَمٍّ** في العَشيرَةِ **مُخْوَلِ**

الحجة السادسة عشرة: لقول الإمام الشاطبي رحمه الله:

95 – **إِذَا مَا** أَرَدْتَ الدَّهْرَ تَقْرَأُ فَاسْتَعِذْ .. جِهَاراً مِنَ الشَّيْطَانِ بِاللهِ مُسْجَلَا

حيث استعمل الشاطبي (إذا) مقرونة ب(ما)، وما في مثل هذا التركيب زائدة، أي أنها لا تفيد النفي، بل هي لتأكيد المعنى فحسب، ومنه قول الله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا

(1) ينظر لسان العرب مادة (عمم) 12/ 423، 424

مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [فصلت: 20].

واستعمل هذا التركيب امرؤ القيس في عدة مواضع من معلقته، حيث قال:

19 – **إذَا ما** بكَى من خَلْفها انْصَرَفَتْ لهُ..... بشِقٍّ وتَحتي شِقُّها، لم يُحَوَّلِ

وقال:

27 – **إذَا مَا** الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ ..... تَعَرُّضَ أَثْنَاءِ الوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

وقال:

45 – إلى مِثْلها يَرْنو الْحَليمُ صَبَابَةً ..... **إذا ما** اسبكَرّت بين درْعٍ، ومِجْوَلِ

وقال:

60 – مِسَحٍّ **إذا ما** السَّابِحَاتُ على الوَنَى ..... أَثَرْن الغُبَارَ بالكَديدِ الْمُرَكَّلِ

الخاتمة والتوصيات

وفي ختام هذا البحث أحمد الله وأشكره على توفيقه وتيسيره وإعانته، وأصلي وأسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن أهم نتائج بيان وظهور علو كعب الإمام الشاطبي في العربية وعلومها، وبراعته في النظم، وهذا ظاهر جلي في منظومة الشاطبية خصوصا وفي سائر منظومته، وهو ظاهر أيضا من ثناء العلماء عليه في ترجمه وبيان تمكنه وإمامته في العربية.

ومن نتائج البحث أيضا تأثر الإمام الشاطبي بالمعلقات السبع عموما، وبمعلقة امرئ القيس، ولا شك أن الإمام الشاطبي رحمه لله كان ذا عناية بشعر العرب عموما والمعلقات خصوصا.

وأوصي في ختام هذا البحث بمزيد من الدراسات في الاحتجاج للشاطبية من المعلقات، وعناية شراح الشاطبية بالاحتجاج والانتصار لها في استعمال الألفاظ،

والكتابة في مناهج الشراح في الاحتجاج لأبيات الشاطبي، كالاحتجاج لها بالقرآن والحديث والشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام وشعر الصحابة، ونحو ذلك.

والله أسأل أن ينفع بهذا البحث، والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.